الجمهور تحدث إليهم عن المظالم التي تعرض لها في حداثته وعن غضب الله الذي انقض على مدينة موسكو وسألهم بكل تواضع أن يدينوا ما بدا منه من خطيئات : « ادينوني بسببها ولتدوّي كلمة الله كيما تستطيع نفسي أن تعيش ! » ، وبطبيعة الحال لم يفعل الإكليروس شيئاً من ذلك. وأخيراً شرح لهم إيڤان أحكام مجموعة القوانين المدنية الجديدة فسرّهم ذلك وأقروا باسم الله هذه القوانين .

إلا ان مفاجأة كانت تنتظرهم . فبدلاً من أن يكونوا مخواسين بالانسحاب توجب عليهم ان يمكثوا لدراسة الاقتراحات التي كانت قد جهزت بكل عناية لإصلاح الكنيسة . فإيڤان كان قد الف بمساعدة سيلڤيستر وارداتشيف لائحة اسئلة مكتوبة عالج فيها موضوع الممتلكات التابعة للأديرة والعادات واخطاء النساخ في الكتب الدينية والهرطقات والاختلاسات . وكما لو انهم ارادوا ان يضعوا نهاية للقرون الوسطى تقرر إيقاف نسخ كتب الطقوس باليد وإنشاء مطبعة في موسكو ، ذلك لان خطيئة يكرسها مرور الوقت لها من القوة اكثر مما للمعرفة . ويجب ألا ندهش من ان اول مطبعة انشئت ما لبث ان دمرها الجمهور . وكان القليل من الكهنة العاديين يعرفون فك الحروف ولكنهم كانوا في المقابل يحفظون الخدمات الدينية عن ظهر قلب . ولم يكن إيڤان قادراً على إقرار الجهل ، ومن اجل القضاء عليه كان لا بد له من الكثير من الكتب. وهكذا لم يتاخر في إقناع ثيودوس مطران نوڤغورود ونيكاندر مطران روستوف ڤيليكي وتريفون اسقف سوزدال وسيپريان اسقف پيرم والمتروپوليت ماكاري بأن يقروا إنشاء مدارس كنسية في موسكو وفي مدن اخرى . وتملصت الكنيسة من موضوع العادات . ففي بلاد تنتشر فيها الأديرة في كل مكان تقريباً لا بد من مواجهة حالات من الشذوذ الجنسي ، وقد أمكن الإجابة على ذلك بأن تنسكاً مفرطاً يمكنه ان يعوض من جهة اخرى هذه الشذوذات . والواقع انه كان يوجد الكثير من التنسك غير المسؤول فتقرر منع إقامة مناسك جديدة غير مرخصة في الغابات والمغاور والأماكن المقفرة .